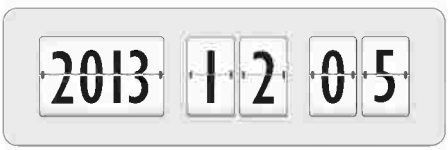

بدأت هيلاري: بعد انتخاب 1980م، أدركت أولًا مدى ضعف زوجي؛ اكتشفت أن هذا الرجل الوسيم، الرجولي، اللامع لم يكن إلا ولدًا صغيرًا في العمق لايزال يبكي ملتمسًا أمه. هل توافقين يا دكتورة؟

مئة بالمئة؛ يتحدث يونغ عن أنموذج الولد الأبدي، الملتصق بمرحلة مراهقة من التطور وشديد الاعتماد على أمه. هؤلاء الرجال يغووون الجميع؛، نساء ورجالًا، ما من أحد إلا ويعشقهم، وإلا فإنهم لا يستطيعون أن يحبوا أنفسهم. وهذا الشباب الأبدي كثيرًا ما يجلب أزمات مهلكة يلوذ فيها الرجل بامرأة قوية لتنقذه.

علقت هيلاري: يبدو كما لو أن يونغ كان يعرف بل، وبل نفسه يقول إنه ولد في السادسة عشرة، وسيظل دائمًا يشعر بأنه في هذه السن.

وكم عمرك أنتِ بنظره؟

يقول إنني وُلدت في الأربعين من العمر، وذلك هو العمر الذي سأكون فيه دائمًا.

ضحكنا كلانا.

صارت جدية، وقالت: أنت الدكتورة، قولي لي ما العمل مع زوجي ابن السنوات الست عشرة؟

ليتني كنت أعرف يا هيلاري! لا أستطيع إلا أن أنصح بتشجيعه على الشروع في التحليل النفسي؛ من شأن ذلك أن يفيد، غير أن أي ضمانات غير متوافرة بالنسبة إلى رجل مثل بل، رجل بمثل هذا النجاح في الحياة رغم نقاط ضعفه.

تحليل نفسي يا دكتورة؟ لا بد أنك تمزحين؛ سعيدة أنا إذا استطعت جعله ينظف أسنانه بالفرشاة. وتنهدتْ: أعرف أنه كان علي أن أعلمه القتال، وإذا أخفقت أنا في ذلك فلا أحد يستطيع؛ هو بلا حدود وشديد النزوع إلى الخطأ؛ أي خطأ، أي انحراف. إنه مفرط في المثالية، مفتقر إلى ضبط النفس والصلابة، كي أكون لطيفة. قد يكون طموحًا، ولكنه مطروح على القفا. لولا إمساكي بزمام الأمر لما استطاع مطلقًا اجتراح الفريق اللازم لحملة انتخابه حاكمًا للولاية. هو بحاجة إلى مدير صلب كالمسمار الفولاذي. لست بحاجة إلى أن أقول لك يا دكتورة إنني صلبة حيث يكون هو لينًا، ذلك هو ما مكنني في 1981م من أن أصبح سائقة المقعد الخلفي لمشروعينا السياسيين المشتركين.

شيئًا فشيئًا، بوصة بعد بوصة، رحت أعيد بناء شخصية بل السياسية المطحونة من جديد، وكي أفعل ذلك تعين علي أن أتساءل أولًا ما إذا كنت مستعدة لإزاحة شخصيتي أنا جانبًا مؤقتًا، كان الجواب بالإيجاب: نعم؛ كان ثمة فوائد معينة للتصرف على هذا النحو، أعرف دائمًا أنني قائدة سياسية، إلا أنني كنت لا أزال ملدوغة بالهجمات الشريرة التي شنها عليَّ حشد من السياسيين والصحفيين، ولم أكن أنا حتى المرشحة للانتخاب! استطعت عيش بديل الجزء القيادي لهويتي من دون تعريض نفسي لقذائف السياسيين القذرين وسهامهم. فكرت: ليتلقَ بل السهام الموجهة ضده هو، تغييرًا، وليتح لي فرصة استعادة احترام الذات في سلام!

في السابع والعشرين من شهر شباط فبراير 1982م، وقفت بجانب زوجي وهو يعلن ترشحه لانتخاب حاكم الولاية في 1982م. بعد أن قررت أن أي شيء لن يحول دون اضطلاعي بدور الطيف النذير لبل، غدوت امرأة أخرى؛ أنا الآن السيدة بل كلنتون، كان تغييرًا محسوبًا؛ جعلت شعري أكثر تفتيحًا، استبدلت نظاراتي السميكة بعدسات لاصقة، وارتديت ثوبًا حريريًّا ملائمًا حاولت أن أبدو فيه عارضة أزياء لوقف تعليقات الناخبين السلبية على مظهري. غيرت نمطي إلى غير رجعة.

حين سأل أحد الصحفيين بل عن سبب تغييري لاسمي، تخلى عن المنبر، ودعاني إلى الكلام عن نفسي. قلت للجمهور إنني لم أكن ملزمة بتغيير اسمي. مازلت أستعمل اسمي قبل الزواج في عملي الحقوقي محامية، ولكنني بسبب أخذي إجازة من المؤسسة الحقوقية وانخراطي بالمساعدة في حملة بل، رأيت أن استخدام اسمه سيكون مناسبًا.

سألتها: وهل سبق لك أن ندمت على تغيير اسمك؟

ترددت لحظة ثم قالت: إعادة بل إلى المنصب واستئناف العمل لخدمة التعليم والرعاية الصحية كانا أهم بالنسبة إليَّ من المحافظة على اسمي قبل الزواج. كانت صفقة. أتكنى باسمه مقابل وعده بإيصالي إلى البيت الأبيض حيث أتولى مهام رئيسة جمهورية–شريكة. اغرورقت عيناها بالدمع. إلا أن من واجبي أن أعترف بأنني أفكر: السيدة من؟ أحيانًا حين أسمع اسم السيدة بل كلنتون. يراودني قدر من الشوق والحنين الماضوي إلى هيلاري رودهام، غير أني أظن أنها تنتظر بصبر في أعماقي، ويمكنني دائمًا أن (أخرجها من غمدها) عند الضرورة، كطلبي للطلاق في أي وقت.

هل سبق لك أن فكرت بالطلاق من بل؟ لو فعلت لما لامك أحد.

نعم، فكرت مرات كثيرة؛ حين أشعر بالمهانة جراء انحرافات بل، يسعفني أن أفكر أنني قادرة دومًا على فرض الطلاق عليه، من شأن ذلك أن يخدمه. مشاعري حول الطلاق وآثاره على الأطفال تبقى- على أي حال- شبيهة بمشاعر أمي. كانت تشعر- وأنا أتفق معها- أن من الضروري وضع مصالح العائلة كلها فوق مصالح شخص واحد.

نهضت هيلاري لتغادر، ثم التفتت وأضافت: عندئذ أيضًا أتأكد من مدى عشقي له، ومن أني بحاجة إليه بمقدار ما هو بحاجة إلي، وأقسم على تحمل مغامراته واستبعاد الموضوع مدة إضافية.